

## تقليد التعليم و الدراسة اللغة العربية عند الألبانيين و الوضع الحالي

أ. د. عيسي ميمشي - جامعة بريشتينا - كوسوفا

### المقدمة

من العروف أن اللغة العربية اخترقت إلى الأراضي الألبانية عبر الإمبراطورية العثمانية. كانت اللغة العربية في بداية الحكم العثماني تعتبر لغة مثالية و متفوقة وكانت الوثائق و الكتابات تكتب باللغة العربية و حتي يومنا هذا في الأراضي الألبانية توجد كثير من الكتابات العربية. إن جذور التدريس اللغة العربية عند الألبانيين تستمر منذ القرون.

يتشاطر الألبان والعرب روابط تاريخية وثقافية عميقة قائمة على الثقافة الإسلامية المشتركة. لقد انضمت الأراضي الألبانية ضمن الإمبراطورية العثمانية منذ أواخر القرن الرابع عشر. وسع الأتراك العثمانيون إمبراطوريتهم ابتداء من أواخر القرن الرابع عشر من الأناضول إلى البلقان. وبدخول القرن الخامس عشر، هيمن الأتراك على شبه جزيرة البلقان تقريبا. فأصبحت ألبانيا بذلك جزءا من الإمبراطورية العثمانية واعتنق غالبية السكان الألبان الإسلام خلال هذا الوقت.

كان تعليم اللغة العربية من الوسائل الحتمية الكفيلة باستمرار النظام الإداري الذي ورثه العثمانيون من الأتراك السلجوقيين والذي لم تكن فيه الثقافة التركية الطابع الغالب في المجتمع الإسلامي بل كانت منصهرة في ثقافة إسلامية مشتركة.<sup>1</sup>

أما في الوقت الراهن عندما يقال "تعليم اللغة الأجنبية" فلا يخطر على الألبان عادة إلا تعلم اللغات مثل الإنجليزية والألمانية والفرنسية وغيرها من اللغات الأوروبية الشائعة. فهناك قناعة شائعة عند الألبان المسلمين على أن تعليم اللغة العربية يندرج ضمن التعليم الديني. نظرة تاريخية سريعة

لقد نشأت الثقافة الألبانية. الإسلامية بعد اعتناق الألبان للإسلام في أواخر القرن الرابع عشر الذين مع مرور الوقت اتخذوا الحروف العربية في كتابة لغتهم الألبانية، وبذلك احتلت لغة القرآن مكانة مرموقة في حياة الألبان. كانت المدارس التقليدية هي المؤسسات التعليمية الوحيدة في الإمبراطورية العثمانية. وكانت لغة التعليم فيها هي اللغة التركية. أما تعليم النحو والصرف العربيين في تلك المدارس فكان جاريًا لغرض استيعاب الكتب الدينية والمراجع الإسلامية الرئيسة.<sup>2</sup> لذلك فإن الهدف المنشود من تعليم اللغة العربية لم يكن لتعليم اللغة نفسها بل لترسيخ التعليم الديني بوساطة لغة القرآن.

<sup>1</sup> Historia e shtetit, shoqërisë dhe qytetërimit osman , ج 1, ص. 264, سنة 2009, بريشتينا.

<sup>2</sup> د. حسن كاش, Dokumentet më të vjetra të vakufëve në gjuhën arabe në Jugosllavi, ص. 29, سنة 2012,

أما العهد العثماني فمن الممكن دراسته من ناحية تعليم اللغة العربية في مرحلتين، الأولى "مرحلة ما قبل تأسيس المدارس الرسمية" (1299م. 1773م)، والثانية "مرحلة المدارس الرسمية"<sup>3</sup>.

### مرحلة ما قبل تأسيس المدارس الرسمية (1299م. 1773)

كانت لغة التعليم خلال هذه المرحلة هي اللغة العربية، إلا أن الهدف من تعليم اللغة العربية ليس إلا فهم الكتب المدرسية السارية في ذلك الوقت، واستيعاب المصادر الإسلامية الرئيسية من التفسير والحديث والفقهاء الإسلامي. وكان تعليم اللغة العربية يعتمد على تعليم القواعد النحوية والصرفية عن طريق حفظ كتب الصرف وهي "أمثلة"، "بناء"، "مقصود"، "عزّي"، "الشفافية"، وكتب النحو وهي "العوامل"، "إظهار"، "الكافية"، "ملاً جامع"... إلخ. وكانت طريقة التعليم هي تدريس الكتب المذكورة ثم قراءتها عن ظهر القلب. وهي طريقة تقوم على الاستدلال حيث تعطى القواعد أولاً وتليها بعض الأمثلة العشوائية وبمعزل عن السياق اللغوي غالباً. ولم تكن لهذه المدارس مناهج دراسية معتمدة من قبل إحدى الجهات الرسمية في ذلك الوقت. فكانت معلومات طلابها مقتصرة على فحوى هذه الكتب من قواعد وعلل معظمها غير عملية. وبذلك فكانوا يتعلمون معلومات عن اللغة العربية وليست اللغة العربية نفسها. وبذلك فتعليم اللغة العربية في تلك المرحلة أشبه بتعليم اللاتينية والإغريقية لدى الغرب في العصور القديمة.

### مرحلة المدارس الرسمية (1773م. 1923)

في هذه المرحلة تم ولأول مرة تأسيس مدارس رسمية على المستوى المتوسط تابعة لـ«نظارة المعارف» (وزارة التربية) في الوقت الذي واصلت فيه المدارس التقليدية التي تمولها الأوقاف دراستها على المنهج القديم الأنف الذكر. وكانت دراسة اللغة العربية في هذه المدارس «الجديدة» تجرى كمادة مساندة لتعليم التركية العثمانية بجانب اللغة الفارسية. وقد جرى تعليم اللغة العربية في هذه المدارس «الجديدة» في إطار تعليم قواعد الصرف والنحو العربيين التي من شأنها تسهيل دراسة التركية العثمانية التي أصبحت لغة «مختلطة» من التركية والعربية والفارسية من ناحية ثروة الكلمات والتراكيب اللغوية والبناء. ومن السهل تقويم أسباب فشل تعليم اللغة العربية في هذه المدارس إذا أخذنا بعين الاعتبار عدم تمكن معلمي تلك المدارس من إجراء أسهل حوار ثنائي مع أبناء العرب في عهدهم. لذلك لم تكن حالة تعليم اللغة العربية في هذه المدارس «الجديدة» مختلفة عن التعليم الجاري في المدارس التقليدية.

البحث عن مناهج جديدة.

ظل تعليم اللغة العربية في المدارس التقليدية كما هو، خلال مرحلة المدارس الرسمية التي ظهرت فيها جهود فردية في سبيل تسجيل خطوات ناجحة في تدريس اللغة العربية. فعلى سبيل المثال كان «الحاج إبراهيم أفندي»، وهو مؤسس مدرسة «دار التعليم» الابتدائية الخاصة في عام 1882م، ذائع الصيت بفضل طريقته الجديدة في تعليم اللغة العربية لتلاميذ هذه المدرسة الذين تتراوح أعمارهم بين 14.11 سنة. وعليه فقد أصدر السلطان والحكومة أوامرها لتطبيق وتطوير «تعليم اللغة العربية بطريقة الحاج إبراهيم أفندي» الذي يقوم على شرح قواعد الصرف والنحو العربيين شرحاً وافياً ليسجلها الطلاب بعد ذلك في كراساتهم، وبالتالي إجراء تدريبات كافية حول القاعدة المشروحة من قبل الطلاب. وكانت كل حصة تتضمن مراجعة الدرس السابق وتعلم قواعد لغوية جديدة ثم حفظها، فضلاً عن توجيه الاهتمام لمهارات التحدث والترجمة من التركية إلى العربية. إلا أن هذه الطريقة لم تكتسب إقبالاً شاملاً وظلت مجهوداً فردياً.

<sup>3</sup> المرجع السابق ج 2، ص 187.

عندما نذكر الحقيقة أن اللغة العربية خلال حكم الإمبراطورية العثمانية كانت تدرس في أعلى المستوى , ليس من المستغرب إن العديد من الألبان كانوا يكتبون مؤلفاتهم باللغة العربية.<sup>4</sup> في هذه الحالة يكفي أن نذكر بعض الكتاب الألبانيين الذين كانوا يكتبون باللغة العربية مثل: مدرس على أفندي, سوزي, نحاري, سجود, أشق چلي, سعي, شمي, بحاري, محمد طاهر أفندي , حج رستم أفند شيبورتى وغيرهم الكثير حاج عمر لطفي ياچاريزي هو من أبرز الكتاب الألبانيين الذى قد ألف عدة المؤلفات الدينية باللغة العربية و باللغة التركية وباللغة الفارسية. من أهم مؤلفاته هو الكتاب "الدر اليتيم فى تفسير الم". هذا المؤلف و مؤلفات الأخرى حتى يومنا هذا محفوظة فى أرشفي كوسوفا الدولي.

### تعليم اللغة العربية بعد تأسيس الجمهورية ألبانيا

فبعد خمسمائة سنة من الحكم العثماني، أعلن استقلال ألبانيا فى السنة 1912 كنتيجة لمؤتمر لندن الذى أنهى حرب البلقان الأولى . فبعد ضعف الدولة العثمانية فى البلقان، أعلنت كلاً من صربيا واليونان وبلغاريا الحرب وسعت كل من هذه الدول لتحريك حدودها فوق ما تبقى من أراضي الامبراطورية. وهكذا غزت صربيا ألبانيا من الشمال، وغزت اليونان ألبانيا من الجنوب، مما حدد البلد إلى رقعة من الأرض حول المدينة الساحلية الجنوبية فلورا. ورسمت القوى العظمى حدود ألبانيا الحالية تاركة أكثر من نصف السكان الألبان خارج البلد الجديد. وقد رسمت الحدود بين ألبانيا وجيرانها فى عام 1913 بعد حل الجزء الأكبر من أراضي الدولة العثمانية فى البلقان . وأدى الترسيم الجديد للحدود إلى ترك عدد كبير من الألبان خارج ألبانيا. وكانت هذه الفئة من السكان منقسمة بين صربيا والجبل الأسود) والتي شملت بعد ذلك ما يعرف الآن جمهورية مقدونيا .(ووجد عدد كبير من الألبان أنفسهم فى ظل الحكم الصربي. وعلى الجانب الآخر، أدى تمرد اليونانيين المحليين فى جنوب البلاد إلى تشكيل منطقة حكم ذاتي لهم داخل حدود ألبانيا . فمعروف أن اللغة الألبانية حتى نهاية الحكم العثماني كانت تكتب بالحروف العربية، ولا تزال هناك مخطوطات وكتب ونقش على الأحجار تثبت هذه الحقيقة الساطعة.

أقدم النقش على الأحجار فى الأراضي الألبانية هو باللغة العربية. أقدم النقش الذى كشف من الدكتور حسن كلثشي هو نقش فى الجامع كاؤش بك فى المدينة ماناستيرو فى الجمهورية ماقدونيا. إعتاماداً على واقفنامه كاؤش بك قد نقش هذا النقش فى السنة 1435.<sup>5</sup> ويوجد نقش فى الجامع أمين باشى فى مدينة بريزن حتى يومنا هذا، و حفر النقش فى التشر كما يلي: "صاحب الخيرات و الحسنات بريزيني طاهر باشازاده محم أمين باشا يسر الله تعالى كل ما فى الدارين ما يشاء فى السنة سبع و أربعين و مائتين و ألف سنة ١٢٤٧". توجد هذه النقوش المتنوعة فى جميع الأنحاء الأراضي الألبانية منقوشة باللغة العربية إبتداء من بداية الحكم العثماني فى البلقان. بين التراث الثقافية المكتوبة باللغة العربية فى الأراضي الألبانية نذكر توكيلا أيضا من مدينة ماناستير و نصه كما يلي: "شهد فى مجلس الشرع الشريف الرجال العادلان محمود السيراج و محمد بن عثمان السراج وكلت المرأة المدعوة اسمحان بنت امير الرجل المدعو بعثمان بن مصطفى لطلب جفها الكائن فى ذمة زوجها المدعو بسليمان الذى طلقها من قبل و لم تعط جفها من المهر و مفعة العدة و قبل الوكالة المشروحة و التزم بالقيام بامرهما من المرافعة و المحاسمة حسب الحال توكيلا صحيحا شرعيا و قبولاً صريحاً مرعياً حرى ذلك و حرر ذاك فى اواخر جماد الآخرة

<sup>4</sup> حسن كالش , المرجع السابق, ص. 30.

<sup>5</sup> حسن كالش , المرجع السابق, ص. 33.

شهود

على باشا - حسن بكزاد - على چلبي - الحاج محمد و غيرهم" <sup>6</sup>.

### تدريس اللغة العربية في آلبانيا بعد بداية النظام الشيوعي

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية كان آلبانيا تحكم على نظام الشيوعي و قام الحكومة الشيوعية بإغلاق المدارس و الكتاتيب في جميع أنحاء الألبانيا و استمرت هذه الفترة حتي عام 1991 باختيار النظام الشيوعي. تعليم اللغة العربية و المواد الإسلامية، بمساعدة الأساتيد من كوسوفا و ماقدونيا و العالم الإسلامي بدأ فوراً بعد إختيار النظام الشيوعي. تدرس الآن اللغة العربية في عدة المدارس الثانوية في أنحاء آلبانيا و في الجامعة الإسلامية بتيرانا . مؤسسات تركية تدعم حالياً جميع هذه المدارس و الجامعة الإسلامية في آلبانيا. برنامج التدريس في هذه المدارس متنوعة و تعلم يُتعلّم فيها المواد العامة و المواد الإسلامية.

### تدريس اللغة العربية في كوسوفا بعد الحرب العالمية الأولى.

بعد إنهاء حكم الإمبراطورية العثمانية في الأراض الألبانية رسمت القوى العظمى حدود ألبانيا الحالية تاركة أكثر من نصف السكان الألبان خارج البلد الجديد.

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى كانت الأراض الألبانية خارج ألبانيا تحت غزو مملكة الصرب والكروات وسلوفينيا. ثم أعيدت تسمية هذه المملكة حيث أصبح اسمها يوغوسلافيا سنة 1929م وأصبحت كوسوفا ضمن مملكة يوغسلافيا.

مع إنشاء حكم مملكة الصرب والكروات وسلوفينيا تمت إعادة الإنشاء المشيخة الإسلامية في كوسوفا. كما ذكرنا أعلاه ووجد عدد كبير من الألبان أنفسهم في ظل الحكم الصربي . في الأيام الأولى في كوسوفا كان تعمل عدة أنواع من المدارس الإسلامية حيث كان تدرس فيها اللغة العربية بجانب المواد الدينية.<sup>7</sup> في حالة عدم الوجود المدارس المناسبة كان التلاميذ يدرسون في البيوت الخاصة أو في المساجد أو في التكايا. كانت لغات التعليم خلال هذه المرحلة هي اللغة العربية واللغة التركية واللغة الألبانية. كان الأئمة و المدرسون و المفتيون يعملون في تلك المدارس.<sup>8</sup> بعد مدة زمنية قصيرة قد وصل الجيش الصربي إلى كوسوفا و قام بعزل التلاميذ والمدرسين من المدارسهم و أغلق جميع تلك المدارس.

خلال الفترة ما بين الحربين العالميتين كان مصير تعليم الألبان في مقدونيا كمصير تعليم الألبان في كوسوفا.

### تدريس اللغة العربية في كوسوفا بعد الحرب العالمية الثانية.

<sup>6</sup> حسن كالش , المرجع السابق, ص. 50.

<sup>7</sup> د. عبد الله ووكري " (1918-1941) Shkolla dhe arsimi në Kosovë ndërmjet dy luftërave botërore , ص. 190 , برشتينا, 1990.

<sup>8</sup> د. عبد الله ووكري, المرجع السابق, ص 190.

بعد الحرب العالمية الثانية وتحديدًا عام 1946 ضم إقليم كوسوفا إلى يوغوسلافيا الاتحادية. فأغلقت المحاكم الشرعية في عام 1946م، وتم في عام 1950م إغلاق آخر المكاتب التي كان التلاميذ يتعلمون فيها اللغة العربية و معلومات أساسية عن القرآن. كانت هناك مقاومة سرية ضد بعض تلك الإجراءات. إذ استمر الناس في تداول الكتب الإسلامية، وكان الأطفال يتلقون التعليم في المساجد، وتابعت بعض الطرق الصوفية وال دراويش الاحتفال بمناسباتها في المنازل.

قد تأسست مدرسة علاء الدين منذ العام 1952م ، وهي مدرسة إسلامية ثانوية، قامت بدور رائد في مجال التعليم الإسلامي خلال نصف قرن من الزمان ، فحافظت على التراث الإسلامي ونشر تعاليم الإسلام السمحة بين المسلمين في كوسوفا ومقدونيا والجبل الأسود وسنجق وبقية مناطق المسلمين في شبه جزيرة البلقان.

إن مدرسة علاء الدين الثانوية، تعتبر نموذجاً حياً لعدد كبير من المدارس الإسلامية التي كانت موجودة في شبه جزيرة البلقان فلقد كانت هذه المدرسة في البداية مدرسة إسلامية متوسطة، ومنذ العام 1962م أصبحت مدرسة إسلامية ثانوية ومدة الدراسة بها في البداية كانت خمس سنوات و حاليا هي أربع سنوات يتلقى الطلاب خلالها 25 مادة دراسية، وكل أعضاء هيئة التدريس مؤهلون وقد تخرّج في هذه المدرسة حتى الآن 1100 طالب. تدرس فيها اللغة العربية إلى جانب المواد الدينية الأخرى خلال أربع سنوات و خلال المدة المذكورة تعليم اللغة العربية يعتمد على تعليم القواعد النحوية والصرفية.

في السنة الدراسية 1974-75 بدأ بالعمل قسم الدراسات الشرقية ضمن جامعة بريشتينا. تصادف هذه السنة الذكرى الأربعين لتأسيس القسم الدراسات الشرقي في في بريشتينا ، الذي كان الوحيد في الأراضي الألبانية ضمن الجامعات الدولية . يتخصص القسم الدراسات الشرقية بتدريس المواد اللغوية و الأدبية للغات الثلاثة العربية و التركية و الفارسية مع تركيز على اللغة العربية و دورها الحضاري وعلاقتها بالحضارات الإسلامية. ويهدف القسم إلى تزويد الطلبة بالمعارف الأساسية الموسعة في الاختصاص البحث العلمي على النحو الأمثل الذي يمكنهم من تأدية الواجبات التي تتلاءم وتخصصهم عامة ولتحقيق هذه الأهداف فقد روعي في المقررات الدراسية أن تكون قائمة على أسس علمية رصينة تحيط بأساسيات المادة عن اللغة العربية و التركية. مدة الدراسة في القسم الدراسات الشرقية أربع سنوات يتعين فيها على الطالب أن يجتاز المتطلبات جميعها بنجاح ليتم بعدها منحه شهادة الإجازة التخصصية ( الليسانس ) في الدراسات الشرقية.

وتفرض كلية اللغات تعلم اللغات الشرقية العربية و التركية والفارسية. أن اللغة العربية كانت تحظى بإقبال أكبر لتعلمها بين الألبانيون في مرحلة الحقبة الشيوعية نتيجة العلاقات الاقتصادية والتجارية الواسعة بين يوغوسلافيا السابقة والبلاد العربية التي وقرت العديد من وظائف كالتجربة من اللغة الألبانية إلى اللغة العربية، أما الآن فانعدمت العلاقات بين الكوسوفا وشقيقاتها فقل الاهتمام باللغة العربية لتحل مكانها الإنجليزية وما شابهها من اللغات الأوروبية الأخرى.

### تدريس اللغة العربية في مقدونيا بعد الحرب العالمية الثانية.

جمهورية مقدونيا (هي دولة تقع في وسط شبه جزيرة البلقان في جنوب شرق أوروبا . إنها واحدة من الدول التي خلفت يوغوسلافيا السابقة، التي أعلنت استقلالها في عام 1991. بعد اثنين من حروب البلقان في 1912 و 1913 وتفكك ولايات الامبراطورية العثمانية في أوروبا تم تقسيم معظم الأراضي العثمانية بين اليونان وبلغاريا وصربيا.

كانت جمهورية مقدونيا جزءا من الإمبراطورية العثمانية لمدة خمسة قرون تقريبا. تبلغ نسبة المسلمين في الوقت الحالي تقريبا 33%. كما هو معروف أن مدينة سكوبيا كانت عاصمة البلقان خلال حكم الدولة العثمانية لمنطقة البلقان أي أن مركز السلطان كان في سكوبيا . طبعاً يتبع هذا الاهتمام المكثف بإحياء الشعائر الإسلامية وتعليم المسلمين شؤون دينهم. أسست مدرسة إسحاق بيك في سكوبيا في السنة 1440<sup>9</sup> و في وقت لاحق كانت تسمى المدرسة الكبيرة عيسى بيك و هي كانت من أكبر المدارس في شبه جزيرة البلقان.<sup>10</sup> و يقول أوليا چلي في سياحته أن المدرسة سلطان موراد حان و المدرس يحيى باشي و المدرس عيسى باشا و المدرس مصطفى باشا و المدرس كارلي زاده من اشهور المدارس.<sup>11</sup> لكن بنهاية الحكم الأمبراطورية العثمانية في مطقة البلقان و إنشاء حكم مملكة الصرب والكروات وسلوفينيا أغلقت أغلبية المدارس الدينية. كانت المدرسة عيسى بيك , المدرسة الوحيدة التي استمرت بالعمل حتى سنة 1945. أغلقت حتى؟ هذه المدرسة الوحيدة من نظام الشيوعي بعد الحرب العالمية الثانية. تم اعادة العمل في مدرسة عيسى بيك بعد أربعين عاما (في السنة 1984). تدرس مادة اللغة العربية بجانب المواد الدينية حتى؟ في هذه المدرسة كما تدرس في جميع المدارس الدينية الأخرى في منطقة البلقان. كما أن مدرسة علاء الدين في بريشتينا و مدرسة عيسى بيك في سكوبيا قامت بدور رائد في مجال التعليم الإسلامي خلال فترة ثلاثين السنة الماضية. و تدرس اللغة العربية في جمهورية ماقدونيا حتى في الكلية الدراسات الإسلامية التي أسست في السنة 1995.

#### خاتمة

إن تدريس اللغة العربية عند الألبان مر بمراحل مختلفة عبر التاريخ. و كانت فترة الحكم العثماني أكثر إنتاجا و نجاحا في تدريس اللغة العربية عند الألبان. جميع المؤسسات حيث تدرس الآن اللغة العربية هي مؤسسات دينية إلا قسم الدراسات الشرقية الذي يعمل ضمن جامعة بريشتينا. و جدير بالذكر أن المدارس الدينية – المذكورة سابقا – تدعم من المؤسسات الخيرية أو الحكومية من الدول الإسلامية أما لقسم الدراسات الشرقية ليس له أي دعم حتى لو من الأساتيد القسم الدراسات الشرقية تمت ترجمة القرآن الكريم باللغة الألبانية لأول مرة كاملا و قاموا أستيد هذا القسم بتأليف الكتب لتدريس اللغة العربية و ترجمة عدة الكتب من الأدب العربي إلى اللغة الألبانية و تأليف قاموس ضخيم "العربي – الألباني" و الأنشطة الأخرى العليمة و الثقافية. إن القسم الدراسات الشرقية يحتاج إلي الدعم بالكوادر من الجامعات العربية لإعداد ولتأهيل الطلاب في أفضل الطريقة ممكنة.

<sup>9</sup> د. ياشار رجاغتش, Zhvillimi i arësimit dhe i sistemit shkollor të kombësisë shqiptare në teritorin e Jugosllavisë së sotme

deri në vitin 1918, ص. 36, بريشتينا.

<sup>10</sup> حسن كالش, المرجع السابق, ص. 29.

<sup>11</sup> أوليا چلي, سياحته ج. 2, ص. 556.